هواتف الليل

قصص قصيرة

هواتف الليل

قصص قصيرة

بشرى البستاني

2012
دار دجلة

لكم أود أن أزيد من القول

بيد أني لا استطيع أن أطيل السير والحديث

لأني أرى هناك دخانا جديدا ينبعث من الرمال

جحيم دانتي : ن 15

الإهداء

إلى :
العراقيين الذين تحول بهم الكون إلى منفى
من قلب الرافدين حتى المريخ
لجرح روحهم الذي يفتح سقف التفاح على بهاء السماء
ولناي أنينهم الذي يشكل تضاريس الوجود ..

بشرى

الجنوب

يقولون في مدينتها إن الخيول ترى في الليل أجنحة الملائكة فتصهل، سألته: هل ترى الخيول في مدينتكم أجنحة الملائكة؟
ضحك، وأخبرها أنه يرى أجنحة الملائكة تظلّه إذ يغطي شعرها الحريري وجهه، برائحته ذات العبير الكثيف ولونه البرونزي المائل للسمرة..
ريح رطبة تجتاح المكان، تحمل في هبوبها رائحة الشبو الليلي طالعاً من حديقة بيتها، وهو يملأ الشارع عطراً متوحشاً....
تغمض عينيها المليئين بالدموع وتلصق وجنتها بخشب المنضدة البارد، الليل قد توغل، وهي بانتظار الفجر الذي سيأخذها إلى الجنوب في مهمة صعبة، وحيدة إلا من جروحها الثقيلة، طراوة المائدة الملساء يذكرها بطراوة كفيه وهما يضغطان بحرص على فقراتها العنقية التي تشكو سوفان انحناء دائم فوق لوحات الرسم وأدوات التشكيل، وتقول: أهذه كف عامل بناء، من يصدق..!
لم يدرس الهندسة المعمارية ليكون عامل بناء، لكن الإصرار على البقاء في الأرض اضطره إلى الرضى بما يتاح من الأعمال، ولم يكن أمامه غير ذلك: نقل الحجارة والاسمنت، بناء الجدران، تسليح السقوف،

وأعمال أخرى سرية توكل له بين آونة وأخرى، يغيب فيها عن زملائه أياماً، ثم يعود بعدها متفائلاً يواصل عمله معهم بحب، ويتقاسم وإياهم الخبز والبسمة والطرائف، لكن بساطته وعذوبته لم تنس أحداً منهم احترامه ..

في آخر لقاء لهما قال وهو خارج:

قد يكون هذا اللقاء الأخير، كوني شجاعة، قالت وهي تشم باطن كفه: أنت أكثر شهامة من أن تفعلها.

قال لكنهم بلا شهامة، ابتلعت دموعها، وراحت تدفع شعرها إلى الوراء، وتحاول الابتسام بجهد، مد كفيه وأعاد شعرها إلى كتفيها.. قبل جبينها وخرج..

هاتف المساء يرجوها أن تنتظر سيارة في الفجر تأخذها إلى الجنوب..

هاتف المساء يقول: ان اقارب بحاجة إليها، فهم ليسوا على ما يرام..

هاتف المساء يضرب جرس الخطر في حياتها الطافحة بسعادة بالغة الجروح..

قلق مجنون يهز أرض البيت الذي أحباه معاً..

صراخ صامت يملأ عليها البيت نشيجاً..

تتحرك بوجع في الزوايا ..

يا إلهي .. ماذا تفعل بانتظار الفجر..؟

كل شيء مظلم وصامت إلا أنين فقرات عنقها، ونشيج لوحات لم تنته بعد، تنتظر رأيه بالخطوط والألوان كي تدفعها باللمسات الأخيرة نحو الأطر التي يعدها بيديه.. في الفجر يعلن بوق سيارة خافت عن حضوره، وتندفع سيدة فارعة الطول نحو المقعد الخلفي، وتهرع السيارة بسرعة لافتة تشق ضباب صبح باكر باتجاه الجنوب..

توابيت

يوم جاؤوها بتابوت محكم المسامير توسلت إليهم أن تراه لأخر مرة، قال الرجال الذين أتوها به، ممنوع فتح توابيت الشهداء فزوجك بطل، تمرغت على الخشب البارد، قبلت أيدي أخوته وأخوتها لكن والدها قال لها، من قال انك سترينه يا ابنتي فالصواريخ في الحروب تمزق أجساد الرجال . انكفأت على النار التي تشعلها وانحنت على الطفلتين. رفضت الخروج من بيته حيث الأركان والأشياء التي تذكرها به، كانت لوعتها تتجدد مع كل شهيد تأتي به التوابيت من هناك، حين أصر أخوتها على عودتها لدارهم جن جنون أهله، وأصروا على انتزاع طفلتيها لو خرجت، وحلا للإشكال تقدم أخوه طالبا زواجها، ووافق أهلها فهو حل شرعي لبقائها بين رجال صاروا غرباء عنها، تزوجت لتحمي الطفلتين من الضياع، أكرمها الزوج الجديد ورعى طفلتيها وأهداهما أخا لهما، ومضت سنوات وهي لا تستطيع أن تنسى، جرحٌ عميق ينز في داخلها ..

بعيد انتهاء الحرب صار الأسرى يعودون على وجبات، وصار بعض المفقودين يعودون كذلك، والأمرُّ من ذلك أن بعض من سجلوا بقوائم الشهداء عادوا أحياء وسالمين الا من ندوب الروح، وبدأ دبيب نار يشتعل داخلها، لم تعد تنام الليل ولا يهدأ لها نهار، والزوج يسألها

عما بها ولا ينتظر جوابا فربما كان هو الآخر يستشعر مثل قلقها ويعيشه كلما حلت وجبة أسرى جديدة، وكان مساءٌ ووقع المحذور ..

طرق الباب، ووسط ثلة من الرجال كان يقف كعهدها به، وسيما، باذخا، وإن كان شيب مبكر قد غزا رأسه ....

لم تستسلم للغيبوبة كما فعلت امه وشقيقاته ....

لم تسمرها الحيرة كما فعل والده وإخوته، لكنها اندفعت تمرغ وجهها الدامع بكفيه كما كانت تفعل وهو عائد في إجازة، دون تفكير بمن حولها، دون خوف مما سيجد من إشكاليات في حياتها، فالمهم هو انه ما زال حيا، وأن ذلك العبير الغامض عاد ليملأ الحياة من جديد ..

تسعة أبواب

خلفك الماء دون فم او شفة
وأمامك من أوجه العابرين
شجرٌ راكضٌ يتعثر بالأرصفة
خالد علي مصطفى

الطائرة تقلع..
قائد الطائرة يعلن عن وجهته، سيحلق على ارتفاع ثلاثين ألف قدم، المضيفة تعلن للمسافرين عن توجيهاتها في الحالات الاضطرارية ... يأتي صوتها من بعيد..
في الطائرة تسعة أبواب، اثنان في الامام، أربعة في الوسط، و... أكمام الاوكسجين، و...
إمرأة بجانبها تنظر إليها بفضول، لماذا تمسك رأسها وتغيب عن المكان.
وجهها الأبيض شديد الشحوب، وجه طفولي يلاحقها، عينان خضراوان تشعلان حنينها، تمضي الطائرة في الأعالي، تنظر إلى مدينتها الخضراء الموشحة بالحزن، نهر باذخ يخترق أرضها، نهر يرسم خارطتها ويؤثث زمنها، ويعيد لفصولها الحياة، نهر يعيش فصوله بضراوة ، يفيض، ينحسر، يضرب صخور ضفافه بقوة، ثم يجري باسترخاء..

تفك حزام الأمان، وتدفع كرسيها إلى الوراء وتغمض، تعتذر للمضيفة عن تناول أي شيء، يزداد فضول المرأة بجانبها فتسألها: أنتِ مريضة..؟

تهز رأسها ولا تجيب، تعود إلى إغماض عينيها، فتبصره عبر شوارع الحياة متشبثاً بكفيها كي يعبرا معاً، تسمع صوته عبر أزيز الطائرة يناديها، تلتفت إلى الوراء فلا تجد غير أجنحة الطائرة رصاصية، حيادية، باردة، ظروف غامضة تنتزع كفها من كفه، ظروف غامضة تدفعها إلى الهرب....

ظروف تلعب بلواعج قلبيهما معاً.

ظروف، ظروف، ظروف..

يسألها عن معنى الظروف بلوعة فتصمت وينهمر بينهما المساء..

الطائرة تهبط، تسحب عبء همومها الثقيلة وتهبط هي الأخرى..

يتلقفها مكان غريب، شوارع غريبة، سيارات فارهة، تعبر وحيدة وتضيع في الزحام..

غربان

وانت هناك تنتظرُ ..
وحيدٌ
فارغ الكفينْ .
ياسين طه حافظ

عند الجبل كان موعدهما..
وعند الجبل كان الرطب يتساقط تفاحاً أحمر فوق جدول من عسل..
عند الجبل كان الضوء معجوناً بظلال كثيفة ، وكان الكون يمد غصونه تعاويذ فوق كائنين من عبير..
يشم راحتها، تلثم أنامله، يخبئ رأسه في صدرها، تنام فوق ردائه، يحملها بين ذراعيه ويرميها في الهواء ثم يستقبلها بساعدين فتيين ويلهثان.
تبكي، فيرشف دموعها بحنو، لم يكونا يتكلمان أبداً، بل يتركان السيمياء تقول كل شيء، والجبل حصن باذخ يحمي الإشارة من الإرباك والخذلان ..
فجأة، أخذته ريح غامضة فغاب طويلاً، وذبلت أناملها .
يوم أرسل يخبرها أنهم عادوا، لم تنم تلك الليلة..

في الصباح الباكر كانت تتجه نحو الجبل، تلفتت ملياً، كان الجدول يابساً، والنخلة مبتورة، وكانت المفاجأة انها لم تجد للجبل أثرا .
كانت الأرض تمتد إلى ما لا نهاية، صحراء تلعب بها ريح شمالية ..
وكانت الغربان على مهلها تحلق في الفضاء.

سرقة

استفاق أهل الصحراء النائية فوجدوا أرضهم مليئة بسبائك الذهب، لم يحسنوا جمعها ولا التصرف بها، جاءت أيدٍ غريبة فجمعتها..
ظلت السبائك تتكاثر.
اعترض أهل الصحراء على هذه السرقة السافرة، فقطع الغرباء ألسنتهم وأيديهم..
بمرور الأيام انتقلت سمة القطع إلى جينات دمهم، فصاروا يلدون أطفالاً مقطوعي الالسن و الأذرع، ولذلك ظل الذهب يسرق ليل نهار..

الهلال

قبل ثلاثة أسابيع فقط كانت أسرته تتكون من ثمانية أفراد، أمه الشيخة كما يدعوها أهل الحي بهيبتها وكرمها، وامرأته وخمسة أطفال أكبرهم في العاشرة وأصغرهم هذا الذي يحمله على كتفه: والآخر ذو السنوات الست هما اللذان بقيا من الأسرة، فقد ذهب الجميع ضحايا نيران قصف أهوج استهدف البلدة الصغيرة، لماذا ..؟؟ لا احد يعرف، من الطائرات والمدافع وقنص القناصين، هدمت البيوت والجوامع واشتعلت الدور والتهبت النيران في الأسواق بما فيها، هو ومن نجا من رجال المدينة حولوا ملعب القرية الوحيد الى مقبرة، وعندما ضاق المكان عن احتضان أجساد الشهيدات والشهداء المتزايدة صاروا يودعون في كل حفرة عائلة، أودع أمه وزوجه في قبر، وزرع أولاده الثلاثة في قبر واحد، قالوا له: أكتب أسماءهم على حجر وادفنها معهم كي تعرف أجيال الغد الجريمة، هز رأسه وواصل السير، هل يحتاج الغد الى وثائق كي يدرك حجم الجريمة..!

نبهه صوت الطفل صائحا: أبي..

التفت الى الطفل الممسك بسترته فوجده مندهشا بهلال أول الشهر الذي ما فتئ يلقي فوق مواكب الشتات حزما من ضياء..

انسجام

حين صارا وحيدين في سيارته استعادا كل الأكاذيب التي سمعاها خلال جلسة المساء، كل من تحدث كان يكذب، ويعرف انه يكذب ... وكل من سمع كان يعرف انه مكذوب عليه ولذلك كان الجميع منسجمين.

حينما ودعها عند باب الدار كانت تبكي، وكان هو يمنحها منديلاً لتجفف الدموع..!

لعبة الحصى

كان الطفل يلعب على الضفة بالحصى، ومياه دجلة تلعب بقدميه المتدليتين عبر الصخور بالماء، والطائرات غربان تحلق فوق النهر ..
اعتاد الناس صوت الطائرات وقصفها، كما اعتادها الاطفال،
النوارس التي تحلق فوق الماء وحدها التي ظل هدير الطائرات يفزعها، وظل القصف يدفعها للفرار ..
ازداد القصف هذه المرة ... صواريخ، رباعيات، شظايا ...ثم هدأ كل شئ .
حينما عادت الطيور مرة اخرى، وجدت الطفل مستلقيا على ظهره وقد فرد ذراعيه ..
عيناه ترنوان للسماء والى جانبه يتكوم الحصى مضرجا بالدم ...

هواتف الليل

رن صوت الهاتف في أعماق نومها، فتحت عينيها على صباح ضبابي، نظرت إلى الساعة تشير إلى الثامنة.

هذا طارق غريب لا يعرف مواعيد نومها ويقظتها انقلبت على الجهة اليسرى متجاهلة الرنين..

عاودت استرخاءها لتنام، لكن الهاتف ما انقطع حتى عاد يضرب مرة أخرى، نهضت نصف نائمة، كانت موظفة البريد تتلو عليها برقية من رجل صار على مر السنوات نائيا..

اه، كانت تنتظر هاتفه بلوعة، كان الليل يتحول إلى مهرجان حب وكانت الأسلاك تشتعل بنزف الوجد القادم من أقاصي الأرض مخضبا بالحنين..

-احبك، وحق دم شهداء الحرية عبر تاريخ الذبح والمقاصل... وحق وجعهم وهو يعطر أرجاء الكون ..

-احبك.. بصبر كل الشموع الموقدة من اجل العشاق في الظلمة. وكانت لا تجيب ...

كانت مشاعر الحب الصامت الصارخ، المشتعل، المشعل وحدها التي تصل أرضها بعرش السماء ممزوجة بكلمة واحدة تختصر الكون.. تعال.

كان البيت ينهض..
كانت شرفاتها تطير بأجنحة أثيرية، ليدخل كل شيء في الغياب.. ثم لم يأتِ. ...
كان يريد وطنا بلا حروب، وهي تريد وطنا تتواصل معه وبه ..
تقول البرقية: انه بحاجة لسماع صوتها، سيتصل بها مساء الخميس.
كانت ما تزال نائمة، كلام الموظفة يأتي من بعيد، ابعد من بحور تفصله عنها ...
كلام الموظفة لم يحرك استرخاءها ..
أقفلت الهاتف بحياد...
تساءلت وهي عائدة إلى السرير:
هل يكفي ان يكون الآخر بحاجة إلينا لإحلال التوازن..؟!
تساءلت بفزع: ماذا يمكن للزمن أن يفعل الهي..؟
أهذا ما يحدث إذ ينفصل فضاء الحب بين مكان وزمان...؟
لم تجد في داخلها ما يدعوها لمواصلة المونولوج. دست رأسها في الوسادة وحاولت الدخول في العتمة.
مساء الخميس أقفلت هواتف بيتها وراحت تخطط لمشروع جديد.

الضحية

كان عمرا صرصرا
هامت مراجيح المنى فيه
وغامت غصة الورد
بأحداق الفراش

عبد الوهاب اسماعيل

حين انتهت مراسيم العزاء غادر المعزون الواحد تلو الآخر، غادروا قبيل الغروب.
حظر التجول في المدينة يبدأ مساءً، حيث تظل الشوارع مخصصة لدبابات أمريكا ودروعها، وتحتل الطائرات سماء الحي .
راحت المرأة التي تجاوزت السبعين تنفض آثار الإرباك وفوضى المعزين عن غرف الدار، حتى ابنتها اعتذرت عن البقاء معها ليلة أخرى متعللة بأطفالها، تربعت على السرير ممسكة جبهتها التي أمست فارغة، فقد ذهب من كان يملأ حياتها ويحرس نبع سعادتها، حفيدها الوحيد لابنها الذي استشهد عام 1991 في الحرب العالمية ضد العراق حيث جمعت أمريكا أمم الدنيا لتضرب شعباً مسكيناً أنهكته حرب أعوام سابقة .

استشهد ابنها وترك لها حفيدا في الخامسة، أهل الزوجة أجبروا ابنتهم على الزواج مرة أخرى فهي شابة وجميلة، بكت ورفضت لكنهم أصروا وأقنعوها أن تصحب ابنها معها، وافقت الجدة من أجل ألا يصاب الطفل باليتم مرتين، لكن الزوج أمر العروس في اليوم الثاني بإعادة الطفل إلى جدته ..

عاد الطفل ليعيش في كنف الجدة وحرصها.. رعاية وحنو وحب وتعليم..

حينما بدأت المتفجرات تجتاح المدينة جن جنون المرأة الثكلى، صارت تسكن الشارع تحرس ذهابه وإيابه، طلبت منه هذا العام أن يؤجل دراسته فقد صار الخطر في كل مكان، اشترت له جهاز كومبيوتر ومولدة كهرباء، توسلت إليه أن يدعو إليه أصدقاءه في كل حين، حرمته من الخروج إلى الشارع، فتجمعُ الشباب يرعب جند المحتل ويدفعهم لإطلاق الرصاص على كل تجمع، دموعها تضطره إلى الانصياع لها، حقق مطالبها فقد كان يضعف أمام لوعتها، ظهر يوم الخميس كان يتابع على شاشة التلفزيون مباراة رياضية، كان سعيداً بفوز فريقه، أدخلت الطعام إلى حيث يجلس وجلست أمامه، يأكلان وهو يصرخ لكل ضربة موفقة أو فاشلة وهي تتأمل شبابه وتتمتم بأدعية غامضة ..

لا تدري ماذا حدث... مطر من الرصاص والشظايا ..

مطر يحطم الزجاج والستائر المقفلة ، مطر يخلع الابواب والنوافذ، مطر يفجر الشاشة، مطر يحرق الأوراق، يخترق صدر الفتى بربيعه العشرين.. لم تعد قادرة على البكاء أغمضت عينيها بجزع ، أنت ياكارثتي الثالثة .. الفاو والبصرة، و حرب الخليج، وأنت في فتنة أمريكا والشرق الأوسط الكبير ..

لكنك كنت أكثرهم بي رأفة إذ لم تترك لي ضحية لحرب رابعة.

تزوير

هواتف الصباح تزعجها، ان أحداً ممن يحرصون على راحتها لا يهاتفها صباحاً، إنها تنهض من النوم شاحبة متعبة ....

قال لها أحد زملائها: أأنت مريضة مرضاً صباحياً.. فأنا أراك عصراً وفي الليل شعلة من الحيوية، لكن إرهاقك في الصباح يقلقني ..؟

ابتسمت، ولم تجب، لأنها في الحقيقة لا تعرف إن كانت هناك في قائمة الأمراض أمراض صباحية..

على المائدة فنجان قهوة وكوب من الحليب. رشفت قليلاً من القهوة فوجدتها مرة، رمت الفنجان بعيداً، يكفيها مرارة الداخل، الحليب لا تطيقه، قالت للطبيب إنها على استعداد لتقبل هشاشة العظام والتنازل عن كل أنواع الكالسيوم على أن تشرب كوب حليب واحد ، العسل مبالغ في حلاوته، وهي تكره المبالغة ولذلك هجرته.

سألتها شقيقتها: هل من جديد في الفجر ...؟

أجابت: لا شيء، إنهم يواصلون ذبحنا، والشهداء دفنوا في حديقة المستشفى، والنساء يلدن على المعابر ويمتن من النزف، والبيوت بلا ماء، والجرحى بلا دواء، والعمال والموظفون بلا رواتب، ونفط العرب يذهب لسيدة العالم، والمدن تحتضر.

رددت شقيقتها.. يا إلهي.. من أين يأتي كل هذا العذاب..

صوت فيروز يهدر ببهاء: وبأيدينا سنعيد بهاء القدس ..
كيف يا فيروز، وأيدينا مشلولة ومحرم عليها السلاح، وأمريكا تؤكد شرعية ذبحنا، فإسرائيل تدافع عن نفسها وعن أمنها في أرض ليست لها، ونحن المعتدون عبر حوارات هيئة أمم أمريكا، وتوينبي يتساءل بأسى : هل التاريخ مزوِّر أم من يكتبونه ....!

ضياع

كانت تجلس إلى جانبه.
كانت تتحدث بطلاقة وانفعال..
حينما وصل بها إلى الدار ثارت فهي لم تنه كلامها بعد، والطريق إلى بيتها يجب أن يكون أطول مما هو عليه الآن..
قال: إذن ندور مرة أخرى..
دارا حول البيت كثيراً ..
حينما نزلت من السيارة لم تجد دارها، التفتت إليه باستغراب. يومها ادركا انهما قد أضاعا الطريق، وكان عليهما ان يعاودا البحث من جديد، لكن الحديث كان قد انتهى..
وسكتت طلاقة المساء.

دلال

الساعة الثانية ظهراً..
والعوائل العراقية على موائد الطعام..
دقت صافرة الانذار، ووصل هدير الطائرات..
منذ اثنتي عشرة سنة والطائرات تضرب مدينتها . قالت الأم الصغيرة:
ـ دلال. إذا ضربتنا الطائرات عليك ألا تخافي، فالخوف عيب. ارتعشت يد الطفلة ذات الأعوام الأربعة، ورمت قطعة الخبز قائلة بنشيج:
ـ أنا لا أحب أمريكا، أمريكا حيوان..
هوى صاروخان..
انحنت الأم على الطفلة تحتضنها، تحول النشيج إلى بكاء حاد.
قالت الأم: ألم نتفق على الشجاعة ومقاومة العدوان من قبل، ماذا علينا أن نفعل حينما يعتدي علينا أحد بلا حق؟
انقطع بكاء الصغيرة، سحبت نفسها من بين ذراعي والدتها وقفزت بنشاط إلى سلة على الدولاب وسحبت سكيناً صغيرة وصاحت بلغة لا تشوبها لثغة طفولة:
نقتله بهذه السكين. صفق أفراد العائلة مشجعين، وزغرد العم وهو يتوسط المائدة مكان أخيه الغائب، بينما كانت الصواريخ تنهمر، وكان أفراد العائلة يواصلون تناول الطعام..

النافذة

صافرة الإنذار تدق..
جرس الهاتف يعلو، لم تسمع صوته من ثلاثة أيام، فصافرة الإنذار هي التي دفعته إلى الاتصال..
- هل أنتِ على ما يرام.. -ألستِ خائفة ..؟
- أبداً
- ألا تحتاجين إلي..؟
- بك تكون الحياة أكثر جمالاً، وبدونك أكثر رصانة..
ـ وأنت.. كيف تريدينها..؟
ـ كيدا بك اريدها الثانية، هادئة ورصينة .
- لك ما تريدين إذن، لن آتي، ان احتجت لأي شيء، اتصلي بي ..
تردد بأسى، ان احتاجت لشيء..! وهل تشعر بحضور شيء من حولها وهو بعيد، ما يزال لا يدرك انها تفتقد كل شيء بدونه .
الأشياء غائمة الألوان شاحبة، وروحها هامدة حتى يقرع جرس الباب أو يضرب الهاتف ويكون هو.
إذ ودعته قبيل أيام، نادته عند الباب الخارجي وهو على بعد خطوتين فقد نسيت لون عينه، التفت باسماً، نظرت في عينيه بإمعان، وهمست: إذهب ....

ابتسم دون ان يعقب وذهب، فقد اعتاد مفارقاتها المفاجئة: تعال، اذهب، لا تقل شيئاً، لماذا لا تقول، وهو بذكاء الفرسان يدرك دوافع الأمر والنهي ولذلك لا يعترض أو يعقب، بل يبتسم بمكر العارف ويواصل الصمت..

تسقط صواريخ عديدة قرب دارها، تهتز منازل الحي، ويخرج الناس إلى الشارع، ترتبك وحيدة داخل الدار، فلم تعتد الخروج في مثل هذه الحالات الاضطرارية . وبينما كانت تجول في الداخل بتشنج .. تفتح النوافذ، تقفلها، تقلب أكداس الكتب، تحاول إقفال أبواب المنزل الخارجية، يطرق الباب ثلاث طرقات، تتنفس الصعداء، يزول توترها، وتسترخي ذراعاها..

تنسى الصواريخ، وتندفع بنشوة تستقبله وقد فتح الباب وفي عينيه قلق ولهفة، وعبر النافذة تتسرب خيوط ضوء طافحة بالحنان.

السكين

في غرفة المستشفيات
يقفل المريض باب جرحه
ويطفئ الآلام كي ينام

كاظم الحجاج

أهي مريضة إذن..؟!
تساءلت وهي تنهض لمغادرة البيت في الصباح، لماذا كل هذه المرارة في فمها، الجو شديد الحرارة، وبرودة شديدة في قدميها، ما هذا الغثيان إلهي، وجع سكين في صدرها، قالت ذلك لزوجها، لكنه قال: أنت تتوهمين، ربما كنت متعبة، ستنسين ذلك حال وصولك الجامعة.
جلست في السيارة إلى جانبه، هي في وجعها، وهو في مشاريعه: اليابان، كوريا، الصين، تايلاند، صفقات تجارية من هنا وهناك، لم يكن يميل إلى مشاركتها الحديث عن أي شيء، وهي لم تفعل ذلك، فهي تتقن إدراك الحدود بذكاء.
في المكتب سألتها زميلتها عما يتعبها، أجابت بإرهاق: إنني أموت، وراحت في غيبوبة.

في المساء فتحت عينيها على كف زميلتها تمسح جبينها بحنو ..
تلفتت حولها: مستشفى والظلام وراء النافذة، وطبيب يقف بجانب السرير، ولا أحد..
زوج، وأولاد، وأخوة، وأخوات، ولا أحد غير كف زميلة تقاسمها المكتب في الأسبوع مرتين..

اصطدام ..

فجأة ألقيتُ أرضاً، قيدوني بالحبالِ
سألتهم، ماذا فعلت
فلم يجيبوا ..

سعدي يوسف

كانت تعبر الى مكتبها الطباعي المفضل، عمارات شاهقة من حولها تنهض كل يوم، جسور ترتفع لتخفيف زحمة العابرين على هذا الشارع، خمسون الف طالب يتوزعون على سبعة ابواب جامعية، وهذه المدينة العتيقة تطل من فوق اسوارها وابوابها رهبة الزمن وهيبته، مدينة تضربها كل يوم طائرات تاتي من بعيد، لكنها بعد كل ضربة تمسح دخان الحرائق عن جبينها وتتهيأ للحياة..

قطع افكارها صوت اصطدام مفاجئ، التفتت ...

اطفال يقودون سيارات ذويهم ويلعبون بارواح الناس، هي افرازات الحروب، فوضى وتناقضات، ثراء فاحش وفقر أليم، وتغيرات سريعة ومداهمة ..

تساءلت بحياد : هل التغيرات هي هذه التي تبدل سطوح الأشياء، أم أن الحقيقي منها هو ما ينهض بزلزلة القيم المتخلفة وزعزعة بنية

العلاقات الإنسانية في جوانبها السلبية ليخلق إيقاعا جديدا للحياة، إيقاعا حركيا لا يعيش على أنقاض إيقاعها السابق، بل يكون بديله الطبيعي الأسمى والجديد كذلك ..

دخلت المكتب فلم تجد الرجل فيه، قدمت لها السكرتيرة أشياءها قائلة: لن نواصل العمل، فالرجل لن يعود غدا ولا بعد غد، ولذلك أوصاني بإعادة الأشياء الى أصحابها.

تساءلت: لكنها ليست عادته، اهو بسوء؟ أجابت: لا ندري، لا احد يدري، انه الان سجين بتهمة غامضة، رجال مجهولون اقتادوه من المكتب إلى مكان مجهول..

حينما غادرت المكتب، كان شبح تهمة مجهولة يطاردها، وصوت ايقاع الحياة الجديد يصطرع في فوضى ابواق السيارات وعجلات الصبية وإرهاق المارة..

بعد منتصف الليل

بعد منتصف الليل،
كل المداهمات بعد منتصف الليل ...
ثلاث طائرات خصصت لاختطاف زوجها من مخدعه ...
طائرة نزلت في سطح دارها واثنان على سطوح الدور المجاورة، فجروا باب السطح ونزلوا الى غرفة النوم، وبملابس النوم جروا الرجل الناهض مذعورا على اصوات التفجير، جروه من زوجه ومن ثلاث صبيات بناته، فتحت الزوجة عينيها باستغراب ....
ما علاقة زوجها الطبيب بالأمريكان ..!!
انها تعرف هدوءه ورصانته وزبائنه، وتعرف انتظام مواعيد عمله،
شدوا عينيها بقناع اسود ودفعوها لزاوية الغرفة، حين خطف الرجل وأقلعت الطائرات الثلاث، فكت القناع عن وجهها وعينيها، وكان الجيران يقفون في الشارع قلقين حول دارها ...
حين فتحت الباب سألتهم عن جرم زوجها..
قالوا لها : لقد نودي من عيادته عصر أمس لإسعاف جريح في الشارع المقابل وأسعفه، وتهمته اليوم هي إسعاف رجال المقاومة ومساعدتهم.
شمرت السيدة عن طاقتها ورعت الدار و البنات الثلاث، يوم أنهت دروسها غادرت المدرسة الى بائع الخضر، أمرها البائع بالعودة لمدرستها

فورا، لان مفخخة على الطريق ستتفجر، هكذا قال له رجال الشرطة، تساءلت بحشرجة، لكن بناتي بالدار، وسارعت الخطى للبيت ...
لم تصل منتصف الطريق حينما اهتزت الأرض ورفعها العصف قاذفا بها نحو دور بعيدة ... جثة مقطعة الأوصال...

هندسة

كانت الصغيرة تداعب بحنان شعر السيدة المسترخية للدخول في النوم، لامست الأنامل قلب الأم فضمت إلى صدرها وجهاً قمرياً وجسداً من عبير..

قالت لها: هل تحبينني يا صغيرة ..

أجابت: يعني.

قالت: كم تحبينني..

أجابت بدلال: يعني.

تساءلت الأم: ما معنى يعني..؟

قالت: حد بين شيئين، لا اعرف ما هما، لكني أريد أن أعرف ..؟

صمتت السيدة تتأمل سؤالاً مفاجئاً ..

هذا جيل جديد يعرف كيف يهندس مفرداته فهل سيجيد هندسة أفعاله كذلك..!

الصاروخ

كان الليل قد بدأ يتهشم، وهي ما تزال تجلس إلى أوراقها، تكتب وتكتب حتى أوقعها الصداع، فمنذ سنوات ومشكلتها مع الزمن مشكلة حقيقية، فالأعمال ِالتي رسمت لإنجازها ما تزال كثيرة، لكن الزمن يجري بإيقاع جنوني، تياراً مستمرا ومهيمنا حاولت ان تكتشف كنهه، قرأت عنه في الفلسفة الإسلامية ولدى الغرب، تابعت مفهومه من أرسطو حتى أحدث النظريات، ورأت كيف اتفق معظمهم في البداية على انه ابتكار ذهني لتمييز القبل والبعد، وان بين العلة والمعلول فاصلة هي الزمن، وقرأت كيف اختلف الفلاسفة فيما بعد، بدءا من كونه خرافة لا وجود لها الى صيرورته حاويا لكل شئ، لكنها رأت اخيرا ان تلك التباينات الخارجية لا تعنيها، وان ما يعنيها هو زمنها الداخلي الذي تحدث عنه ميرهوف، هذا الزمن الذي يشتعل بالأحداث والرؤى والوقائع، والذي تحاول ان تسيطر عليه بما اوتيت من حيلة لكن حيلتها تفلح مرة وتتعثر اخرى، خوفها الحقيقي يكمن في مفاجأة الجسد اذ يعلن عصيانه في أشكال مختلفة، في العين مرة وفي العنق مرات .

ولانها تحس ان زمنها محدود وهارب فهي تعمل ليل نهار، لا تزور أحدا ولا تزار، لا تنام الا قليلا، انها تعدو وهي جالسة إلى المكتب،

تقول شقيقتها: أحسك في حرب، أعجبتها العبارة، نعم إنها حرب ضارية ...

قال زميلها المشاكس: ما تفعلينه جهد مجنون، انك تحاولين الإمساك بالزمن حتى تنتزعي منه مأربك، وذلك ما أعده جناية او موتا في البحث عن الحياة، لأن الكارثة تكمن في ان الصاروخ الأمريكي كفيل بإفناء كل شيء في لحظات.

تقول بود: لكن ذلك الصاروخ لم يستطع ان يشفي عقدة ماضيه الغائب لأنه لم يستطع ان يبيد تراث احد فظلت حضارات إنسان الأمس باذخة.

حينما وقع بصرها على كوب حليب أعد لها ولم تشربه كانت صافرة الإنذار تعلن عن غارة جديدة ..

إنها حربان إذن.. ابتسمت وشربت كوب الحليب الخالي من الدسم، وراحت تتهيأ للنوم .

حينما دخلت فراشها، كانت الطائرات الأمريكية تحوم فوق المدينة.

سحبت الفراش على كتفيها وأغمضت بأمان، تذكرت صديقتها الجزائرية وهي تقول..انتم شعب يبعث على الجنون إعجابا: صمود وحياة وتواصل وسط الصواريخ، لا بد وأن عدوكم سيموت غيظا ..

واصلت استرخاءها متجاهلة أزيز الطائرات وراحت تدخل في النوم.

الكهف

كم كنا نحلم، كم كنا نرتاب
كم كنا نخشى ان نطرد
او نهمل عند الأعتاب

سامي مهدي

قالت لها ابنتها: ان الأرض كروية، ولذلك سنلتقي فوق سطحها يوما..
قالت ابنتها ذلك ورحلت مع زوجها وولديها..
لقد أنجبت سبع مرات ولكن أحدا لم ترق له الدنيا غير هذه الأخيرة فماتوا جميعا.
أشعلت لفافة التبغ وراحت تدخن ....
حين مات زوجها انتقلت إلى بيت اخيها، لكن اخاها رحل هو الاخر على حين غرة وظلت مع زوجه تقتسمان دارا كبيرة، وظل هاجس الموت يلاحقها، موت اولادها، موت اخواتها، موت احد عشر حصانا لزوجها، لكل حصان كانا يقيمان مجلس عزاء ...
في البداية كانت تبكي، تبكي بحرقة وفقدان، في النهاية جفت دموعها، وحين مات أخوها الوحيد الذي تحبه ارتعبت من نشيج الباكيات

فأمرت بالصمت إجلالا، فأخوها أكثر شفافية من أن يتحمل ضوضاء البكاء..

في يدها مسبحة تحصي بها أخطاء العالم، وفي داخلها كهف يلوب، وفي عينيها سؤال أخير لا يعرف له وجهة.. ولا جواب..

ريبة

كانت حفلة عرس مريعة..
خلال ثلاث ساعات ارتدت العروس ثلاثة عشر ثوبا، كل ثوب مطرز باحجار كريمة .. بالذهب والماس والياقوت، ووسط ذهول الأعين دعي الجميع إلى المائدة.
خارج قاعة الاحتفال كانت موائد الطعام تمتد، وتمتد عليها الخرفان والدجاج والأسماك واصناف الحلوى، فجأة وفي عز الصيف انفجر رعد هائل، وراحت الزوبعة تقصف ثمر البستان..
انهمر مطر غاضب، مطر كأنه الوحل يهوي من السماء فاختلط الحابل بالنابل وتراكض المدعوون نحو الداخل، ماء طيني يبلل الرؤوس المزركشة ويلوث الملابس الأنيقة..
موائد الطعام التي لم تمسسها يد صارت محط عبث الزوبعة الترابية..
أعين الخدم المنكوبين بحرب وحصار وجوع تتفحص بسيمياء ما يجري..
التقت أعين المدعوين ببعضها.. إن في الأمر ما يريب...
بعد أكثر من سنة، كان الزوج سجينا، وأبوه هاربا من قبضة الحساب، وكان البيت مصادرا، والعروس في بيت أهلها، ومعها حقيبة زاخرة بالندم.

سيمياء

بكثير من الحزن ادرك اني احبك
مستسلما لنهار يضيع بقلبي
وأغنية لا تعيد الصدى

امجد محمد سعيد

كان يجلس إلى جانبها في الطائرة..
رجل صامت حزين.
حينما جاءت المضيفة بوجبة الغداء قدم لها أولا، لم تشكره، أكلا بعض الطعام بصمت. بعد ساعتين من الطيران شعرت بدوار فجاءها بكاس من العصير وطلب إليها أن تسترخي. أغمضت عينيها بأسى، مضى بعض الوقت قبل أن تعتدل في جلستها، مع هبوط الطائرة وقف ينتظر الحقائب في الشريط الدوار، قالت له لكنك بلا حقائب، لم يجبها بل طلب اليها أن تؤشر له حقيبتها.
في المساء كان يطرق الباب حيث أوصلها..
فوجئت.
قالت له: لكنا لسنا على موعد.
قال: وأنا لن ادخل، فقط انتظرك للخروج.

ودون ان تسأله إلى أين، اتجهت إلى دولاب ملابسها.
بعد ساعة كان يجلسان في ركن هادئ بمطعم ناء يجمع بينهما فضاء من الصمت الطافح بالكلام.

الأم

سقطت من عيون المها الحدقات
حينما قصف الجسر
وانفرطت حلقات المحبين
وارتاعت الأمهات

سامي مهدي

لماذا كانت الأرض عزلاء إلى هذا الحد، ولماذا ظل الشجر محايدا.
الدبابات الغريبة تجوس في شوارع المدينة ، الرصاص مطر اسود يهوي فوق الرؤوس، لم يعد من ماء ولا غذاء في البيوت. ..
التظاهرات تستنكر، المنظمات الانسانية تشجب، النساء يمتن من الرفض، الحكومات تتستر، لكن الدبابات ما تزال تجوس في شوارع المدينة، والأم القلقة في أعتاب البيت تنتظر، الأم لا تخاف من ضرب الطائرات ولا تخشى الرصاص ولا قدوم الدبابات ..
الأم تنتظر أبناءها الذين خرجوا قبل أسبوع لكن مشروع الإبادة الجديد عطل حضورهم..
الأم لا تشعر بالجوع ولا بالعطش مع أنها لم تأكل من أيام.

الأم تبحث في البيت عن سلاح تحاربهم به فلا تجد، وتتساءل بلوعة:
لماذا.؟!
الأم تضربهم بالحجارة، وبما يتيسر لها من اللعنات.
الأم لا تبكي، فالدموع لم تعد واحدة من أسلحتها..
الأم، تغضب، تغضب ..
لم تكن متعبة حينما أطاحت إطلاقة بجبينها فهوت تحتضن عتبة الدار.

الليل

تحاصرنا الريح في عصفها الجمرُ
نحن بسطح السفينةِ
آه .. غرقنا ..

آمال الزهاوي

الليل الذي شهد احزانها وامجادها ..
الليل الذي كانت تهرع اليه من وهج الشمس ومن ضوضاء الخليقة.
الليل الذي شهد دموعها ساخنة ومضيئة في اعماق الظلمة.
الليل الذي شهد عذاب وطنها يوم بدددته الصواريخ ولعب فيه الجوع ما لعب..
الليل الذي جفف دم اهلها، ومشى في جنازات أحلامهم.
الليل الذي تحدث عنه الشعر طويلا وناغاه العشاق.
الليل الذي ترتمي على صدره مساء كل يوم تعبى، خرج ذات يوم ولم يعد..
جلست طيلة المساء تنتظره، لكن سدى.
وظلت الشمس مستفردة بها، تقلب أوراق روحها ذات اليمين وذات الشمال..
وتصْلي قلبها بنار جنونية....

مدفأة

في نهاية شارع بيتها يقبع معمل صغير لصناعة المدافئ، لكن اميركا تصر على انه معمل لصناعة اسلحة الدمار الشامل ولذلك تضربه الطائرات منذ اثنتي عشرة سنة ليل نهار . تضربه بحرص ومواظبة.
شتاء هذا العام بحثت في كل الأسواق عن مدفأة لمكتبها البارد فلم تجد..
قبل ان تيأس قال لها اخر بائع:
سيدتي.. الطائرات الامريكية ضربت المعمل خمسين الف مرة ولم تعثر على اسلحة الدمار الشامل، فكيف ستعثرين انت على مدفأة واحدة لمكتبك الصغير..!

المبحث الاخير

كان طالب الدراسات العليا يتكئ على جدار شقته ..
كان وجهه شاحبا وعيناه ذابلتين تحدقان برصيف الشارع ، كفه اليمنى تتحسس شهادات الموت في جيبه، ووراءه على المنضدة يقبع المبحث الاخير من اطروحته .
قبل اسبوع واحد كان صهيل امنياته يملا الكون.
قبل اسبوع واحد افاق على رسيس وجع حاد في ركبته، الوجع يزداد، يصعد، يهبط ، الحمى تبدا، الحمى لا تنتهي، عيادات الاطباء تشهد شابا في السابعة والعشرين من عمره، ابيض البشرة ، اسود الشعر والعينين، فارع الطول، يدخل صالات الفحص، صالات الاشعة والتحليل .
شهادات الفحص والاشعة والتحليل في جيبه تؤكد وجود مرض خطير في ركبته.
استاذته المشرفة تنتظر نتيجة الكشوفات الطبية، امه وابوه ينتظران شهادة الدكتوراه، أصدقاؤه ينتظرونه في موعد نزهتهم الاسبوعي.
جرس الهاتف يرن ...
جرس الهاتف لا يرحم ...

في صوت استاذته شجاعة مفتعلة وفي عينيها قلق صامت، وفي مآقيها دموع خائفة تقمعها بين آونة واخرى، وهو لأول مرة من خمس سنين مضت يحاول ان يكذب عليها، ولكن كيف وهي تقرأ الخواطر في عينيه وفي صوته، نال معها الماجستير في اقل من المدة المقررة، لم يكن قد خطط لمواصلة الدكتوراه مباشرة، لكنه خشي على الفرصة الا تتكرر فحسم الامر ليواصل معها..

انه الآن يريد أن يكذب عليها رحمة بها، لكن صوتها يقتحم عليه الاسلاك آمرا: يجب ان تحضر ولو كانت بك أمراض الدنيا، اريد ان أراك لأبرهن لك ان إرادتنا أقوى ..

وهو قادم للدراسة في هذه الجامعة لم يخطر بباله ان تشرف على دراسته امراة، فزع يوم بلغوه باسمها، حاول تبديلها برجل، لكنه فوجئ باستنكار الجميع اذ كيف يفرط بكفاءة علمية وإنسانية ككفاءتها، ولذلك تراجع فورا، ثم لم يلبث ان عرف اية امرأة كانت أستاذته، لقد عوضته عن كل ما فقد هناك .. صارت له الوطن والعلم والأمومة، كان ينام ويصحو على أصداء قلبها وهو يمنحه الدفء والمعرفة والأمن..

صوتها يلح: هاتِ مبحثك الأخير وتعال.

في مدخل بيتها كانت تنتظره، حينما ابصرت شحوبه فتحت ذراعيها، ولأول مرة منذ عرفها ارتمى على جلال صدرها متناسيا عبير هيبتها

الذي ظل حائلا بينه وبين أمومتها، خمسة أعوام بطولها. أمسكت بحنان رأسه، ورفعت وجهه إليها، نظرت في عينيه بشجاعة، قالت: لقد جئنا إلى الحياة مغامرين، والمغامرة إقدام وجرأة، فلنكن صامدين حتى النهاية ومهما كانت النتائج. هز رأسه موافقا، فتح المحفظة واخرج مبحثه الأخير.

وقبل ان يدخلا في حوارهما العلمي كانا يحتسيان قهوتهما بسكرها المعتاد .

اليوم السادس

في اليوم السادس لزواجها تركها الزوج الى الحرب ولم يعد ....
بعد تسعة اشهر انجبت طفلا سمته (حربا) لتظل تتذكر الحرب التي خطفت حبيبها من ايام عرسه، هي الان في الخامسة والعشرين تزداد جمالا وبهاء، ويزداد الرجال من حولها املا في القرب ....
هذا يطلب يدها، واخر يخطب ودها، وثالث يبغي قربها. وولدها يريد له ابا، انه الان في السادسة من عمره يحاسبها كل يوم..لماذا لا توافق على الزواج من عمه، او من ابن عمها او من جارهم المتيم بها او أي رجل ممن يطلبونها كي يصير له أب.
تحاول ان تفهمه ان أي رجل لا يمكن ان يكون اباه، لان الحقيقة شيء، وشبيهها شيء اخر، ان والده الحقيقي قد ذهب عن الدنيا الى الابد، لكن الطفل لا يريد ان يفهم، وهي تزداد بعدا عن الرجال، انها تفزع من الحاحهم، تخبرهم انها ألغت فكرة الزواج من حياتها الى الابد، قد لا تكون على صواب، ولكنها استقرت على ذلك.
ملابس عرسها ما تزال معلقة تنساها مرة وتتفحصها أخرى ..
والرجال في نظرها وفي خبرتها ودودون، اليفون، لكنهم مشروع موت.

كل الرجال في رايها مشروع موت ما دامت الحروب تحصدهم، وما دام الاخر يعلن الحروب متى شاء ويمارس العدوان متى أراد، فلماذا المغامرة بزوج مفقود مرة اخرى..
في داخلها جرح ينزف، وعلى السرير طفل يبكي، وعلى النوافذ ستائر داكنة، وفي السماء هلال بعيد.

التجربة

دموع تنساب في اعماق روحها، شريط عشرة اعوام من التوافق والانسجام يوجعها، انها منذ اكثر من شهرين لا تنام جيدا، لا تاكل بشهية، لا تجيب على الهواتف، يسألونها: أهي مريضة..؟ فتربكها الحيرة أهي مريضة حقا، ام انها تتصور ما سيحدث، تتأمل الزمن الذي سيجيء بلا حضوره، بلا كتبه، ولا حواراته فترتجف في عينيها الصور، تمسك رأسها بقوة وفي مآقيها دموع تجف.

حينما كانت تتهيأ للنوم كان الهاتف يضرب، انه هو، تنهض أغصان روحها وتنكسر معا، تجيب، تسمع صوته يعتذر عن انتصاف الليل، لكنه لم يكن لينام قبل الاطمئنان عليها، صوت متماسك رصين، قالت له: لا تشغل نفسك بي، قالت: حاول ان تقلل من متابعتي كي نتهيأ للدخول في الوحشة..

يجيب باستغراب: ولماذا ندخلها، إنها مفردة غير موجودة في قواميسي..

يا الهي.. من أين له أن يعرف، هو ذكي وفيه شهامة صامتة، لكنَّ لخبرة الزمن أحكامها، أما هي فقد ذبحها الزمن خمسين مرة حتى تأكد لها أن الحياة لا تؤخذ غلابا، بل قد يأخذ الأغبياء منها كل مأخذ لينسحب العارفون إلى ظلالهم..

-أنت رفيقة دربي..
هل ساوره شك في ذلك، تتذكر يوم دفعته إلى أول الخطوات فيما أنجز، تتذكر تفاصيل الاشياء الصغيرة التي كانا يتحاوران بها، وحلول القضايا الصعبة التي كانا يتفقان عليها، والتي كانت تنجح دوما في حوارية الفهم والتناغم ....
قالت.. جمعت أوراقك لكني لم استطع ان احضرها فقد شعرت ان شيئا في روحي يؤلمني.
قال: لانك تستبدلين الورق والكتب بي وتعرفين خطورة ذلك.
اليوم .. هي تهرب، وهو يصر على الحضور، تفصح عن قلقها فيرفض محاورته متسائلا: انحن في حرب.! وهو يعرف أنها تكره الحروب، فالحرب في مثل هذه الحالات خاسرة، لأنها بحاجة إلى رسل وأنبياء، وبحاجة إلى أناس يتقبلون الرسالة، وما دامت السماء مقفلة فهي معه بحاجة إلى رؤى معمقة تحفظ دوام هذا الخيط الخفي النفيس المتألق الذي يجمع روحيهما بغلالة عبير .
قالت بأسى: مرة أخرى أحذرك من الدخول في التجربة.
وقبل ان تسمع جوابه أقفلت الهاتف واخفت وجهها بين ذراعين هامدتين.

الفلوجة

يدنو إليك الفجر عبد الله .. خذ بيد النجوم إلى صباها
يدنو إليك الفجر ها هو في عيون الأقربين وفي مناها
حميد سعيد

كانوا ينسحبون، المدافع والدبابات والمدرعات وقوات المارنيز، تحرسهم في الجو طائرات حربية بأسماء مرعبة، بينما يقف على حافة البادية الغربية لأرض وطنها رجال ببنادق قديمة وأسلحة يدوية...
يقفون على أرضهم بلا متارس ولا أسلاك ولا دروع، رجال تسلحوا بما لا يعرفه المحتل : الحب.
تذكرت طالبها حامل الدكتوراه الذي لم يجد عملاً في الجامعة ولا وظيفة خارجها فامتهن مهنة قاسية. حينما سألته عن أحواله أجاب بخير، سألته : كيف..؟
أجاب: بالحب الذي يحل معضلات الكون أتسلح، وبه أعالج إشكاليات العالم..
قالت المذيعة: ها هم يخرجون بعدتهم الثقيلة خاسرين بعد أن سجلت المدينة الصغيرة أسمها بين أعظم مدن العالم الصامدة: الفلوجة.
كانت قوات العدو تنسحب، وكانت الشوارع تفتح ذراعيها لدخول أهلها وكانت أجنحة الشهداء ترف على المكان...

الجدار الحجري

عانقت ظلك مرة فوق الطريق
ومرة اخرى على سور المدينةِ
اذ تعبت وقلت تسعفني يداي
وجدت ظلك مسندي

مي مظفر

سألته بأسى: الى الدانمارك..؟
قال: نعم.
قالت: واخوك في السويد والأخر في امريكا واختك في استراليا والاخرون في اماكن لا اجيد حتى نطق اسمائها، ما هذا الشتات يا الهي..
قال: هذا الشتات سيجمعنا..
قالت: تخدعون انفسكم، وسالت على خدها دمعة.
احتضن راسها، وقبل طرحتها ذات العبير الغامض. اخوه ذو الشهادة العليا يرفض الخروج من المدينة حيث تقيم امه وزوجه وطفلته. لقد سجن وعذب وطرد من عمله عدة مرات، لكنه يرفض الخروج. في أخر تظاهرة أصيب بطلقة في كتفه، فزعت امه وضربت رأسها

وراحت في غيبوبة. هذا هو المتبقي من تسعة اولاد علمتهم بكدها ونور عينيها..
ربت على كتفها اذ أفاقت قائلا: لن أموت، إنني الشوكة التي تدمي عيونهم.
نظرت الى صورته بزي التخرج معلقة على جدار حجري بناه جده من حجارة القدس القديمة، ادرك ابنها الصغير ما تفكر به وقال جادا:
ليس خطأ ان نخرج يا امي، اننا نغذي الثورة في أي مكان كنا..
قالت لكن أعداءكم هنا، وضربت الأرض بكفها.
قال: المهم ان نبقى صامدين، ان كل الذين هناك هم مشروع عودة..
قالت: ليس من كفه في الماء كمن كفه في النار..
ماذا يقول لها.. انها تلمس جانبا مهما من الحقيقة، وما حول الحقيقة لا يعنيها وان كان بعضه مهما لاستمرارها والتواصل معها..
قبل با جلال كفها العنيدة، واطرق خارجا دون ان يقفل الباب وراءه.

تداخلات

كان بهاء الليل يذهلها ...
خشوع ودموع ونشوة، حتى إنها كثيرا ما تكره النوم فتبقى يقظة حتى طلوع الفجر ..
كان القمر بدرا، وكانت هالات الضوء تنداح حوله إلى ما لا نهاية، وكانت النجوم تختبئ في ظلال الضوء حتى كأن السماء قبة من ضياء..
كان الهدوء مشوبا بالحنين ..
وكان الحنين مشوبا بانين صامت..
احيانا تحس أنها تسمع في أطراف الكون مواويل كثيفة تنث في فضاء الليل حزنا شفيفا..
في تلك اللحظات لا تستطيع أن تغمض عينيها..
حفيف الشجر ينساب مع النسيم هاديا يذكرها بليالي الطفولة، كانت هي وأختها الصغرى يقتسمان سطحا كبيرا، هي تقرأ حتى الفجر، واختها تنام وادعة بوجهها الملائكي الأبيض، اذ يقع بصرها على الشعر الأسود الناعم من وراء الكتاب تنحني لتقبله بين آونة وأخرى، او تقبل جبينها او كفها الناعمة وترفع على كتفيها الغطاء.
في الشتاء يقتسمان غرفة واحدة، فقد كانت الصغيرة مؤمنة انها ما خلقت الا لترافق شقيقتها الكبرى وتطمئن على راحتها.

يوم تزوجت لم تقوَ الكبيرة على رؤية خروجها من البيت فهجرته، وطلبت من العائلة تغيير معالم غرفتها..

ذلك أول فراق ممض عرفته في حياتها، وأول دموع ملتاعة ذرفتها.

الآن.. تستقيظ كل صباح على صوت ملائكي بوجه وردي وأنامل ناعمة تعبث بوجهها وشعرها بشقاوة محببة، وجملة أثيرة تداوي ذلك الفراق البعيد..

خالتي.. قهوتك جاهزة..

موعد

كانت معه على موعد..
لاول مرة لم يات قبلها.
ارتاعت، تلتفتت حولها، سمعت على حين غرة انه سيموت، فقد وجد الاطباء في قلبه اشياء معطوبة.
ارتعشت. جف فمها وتخشب لسانها..
كيف حدث ذلك وهي في قلبه من ثلاثين عاما، وقلبه دافئ، طري، اخضر.
بحثت عن الدموع فلم تسعفها..
لم تعد تبصر شيئا فقد فرغ العالم، هكذا في لحظة..
أغمضت بعذاب ...
اذ فتحت عينيها تتلمس الطريق، وجدته اماها فارعاً يبتسم، ويقول:
ها انا ذا..
فجأة.. تدفق الماء في الأصابع، وانسابت غصون السواعد تتنفس الصعداء، وأشرقت الدموع من جديد..

الحدود المرسومة

إلى منال

إذ أطلقت شعرها أمام المرآة ليلا وهي تتهيأ للنوم تهدلت عناقيد بنية كثيفة، انسابت على كتفيها أولا ثم راحت تسترسل الى منتصف ظهرها، عيناها خضراوان واسعتان كسماءين من بنفسج، جبينها أفق من نور فوق وجنتين يشتعل فيهما عسل متوثب، قامة نحيفة، أصابعها فرعاء كثيرا ما قبلها الرجال بضراوة، وهي ذات ثقافة وعائلة ، انحنى الكثيرون بخشوع امامها .... لم يؤذها رجل قط، والدها وإخوتها رجال محترمون، لكنها لم تستطع أبدا أن تستجيب لنداء رجل..

ظلوا يلاحقونها، وظلت هي تهرب، وكلما أحست بطارق جديد قالت له: انتبه، أنا غير مؤمنة بالحب، غير مؤمنة بالزواج، لكنه مثلهم جميعا يبدا شجاعا، آملا يتصور كلامها دلال امرأة استثنائية، لكن مرور الأيام والأشهر والسنين يؤكد لهم حقيقة موقفها: لا حب، لا زواج ولا اعتداء على الحدود المرسومة، حتى يداهمه اليأس ويذهب.

كانت تعتقد ان تقدمها بالعمر سيصرفهم عنها، لكنها كانت واهمة فهي الآن تتجاوز الأربعين ومعها تراث عريق في رفض الرجال لكنهم لا ينصرفون، انهم ما زالوا يحومون حولها، في الطريق، في الجامعة، في الأسواق، لدى اقربائها، تقول في البداية اصرفهم بالحسنى، تقول:

الكلمة الطيبة صدقة، لكنهم يريدون القرب ويصرون، وهي تريد الحرية خالصة من كل قيد، وهي تدرك ان الحب قيد، الحب استبداد وإرهاب وهيمنة، تقول شقيقتها: ان قيود الحب هي أجمل أنواع الحرية، تقول لها صديقتها: ان هيمنة الزواج ومسؤولية الامومة هي انبل انواع التحرر لانها وعي الضرورة، واستجابة لنداء الطبيعة، لكنها لا تستطيع. هي ملتزمة وجادة، تبكي احيانا كلما رفضت رجلا، محترما، تبكي لان الفتيات يغبطنها علانية، بل ويحسدنها ويستغربن مستنكرات رفضها..

انسابت دموعها أمام المرآة ..

انكفأت على وجهها فوق السرير الغريب وهي تتذكر ظهر اليوم اذ تركت اخر المراجعين في غرفتها يرمقها بنظرة متوسلة في حين تحرص هي على الا تلقي نظراتهما..

انه يلح .. رجل شهم وصبور، لكنها لا تستطيع، عذرها الوحيد أنها لم تخدع أحدا منهم، فقد قالت للجميع إنها غير مؤمنة بالتكامل، لأنها تستطيع أن تكتمل بذاتها، فلماذا تبكي كل يوم إذ ينتصف الليل..!

صدمة

كان رجلاً وحيداً، وهي ابنة عمه أحبها وتزوجها، كان يأمل أن تنجب له سبعة بنين، فالبلد في حالة حرب، والحرب بحاجة الى رجال، لكنها أنجبت بنتا في السنة الأولى فثانية وثالثة، وفي الرابعة اقسم ان يتزوج، فالحرب التي تطحن بلده لم يقدر لها ان تنتهي .

تقول له اخته: إنهم لا يحاربوننا بالرجال بل بالصواريخ والتقنيات.

تقول زوجه: إنهم يحاربوننا بالنساء كذلك فنساؤهم عالمات في كل مجال، ولأنها اليوم حرب أزرار فالمرأة هي الأخرى تعرف كيف تضغط على الزر فينطلق الصاروخ، لكنه أصر على الزواج.

ثارت امه وبكت أخواته فابنة عمهم رقيقة نبيلة..

عمته وحدها التي كانت تحرض على الإسراع بالزواج حفاظا على اسم العائلة.

هي لا تملك بنتا تمنحه إياها، لكنها بدأت بالمشروع، وهو يراجعها كل يوم، يتابع ما استجد بالامر..

زوجه على سرير الولادة للمرة الخامسة ..

هو وعمته في بيت الفتاة الموعودة..

شقيقاته مع زوجه في المستشفى.

امه في البيت تنتظر..

اولاد عمه يدفعون الباب ومعهم توأم – ذكران، وامرأة مجلوطة من هول الصدمة.

آذار

ولماذا يبقى اللونُ الورديُّ وتبقينَ،
وتُمحى الأشياءْ ..!

حيدر محمود عبد الرزاق

الصبية الفلسطينية التي تحزمت بالرمان فقتلت عشرين صهيونيا ردا على الغارة الصهيونية على أهلها، وجرحت أكثر من مئة لم تخبر والدتها أنها لن تعود عصر اليوم..
ظهر أمس طلبت منها زميلتها ان تجلب لها دفتر التاريخ صباح الغد، اجابت برصانة هي سجيتها: ربما لن أجيء إلى المدرسة يوم غد..
صمتت الفتاة ولم تفهم..
الصبية الفلسطينية التي أنجزت عمليتها الاستشهادية في آذار كانت تبذر في الأرض التي سرقها الغرباء قمحا جديدا، خصبا، وغامض العبير..
في دولابها وجدوا خريطة مرسومة بالأحمر، وبدلة عرسها موشاة بدموع لؤلؤية، وصورة حبيبها الغائب مؤطرة بالمحار..
على شاطئ البحر تتوهج هنا وهناك شقائق قرمزية عذراء، تنحني تحت الشمس خجلا من أشلاء صبية لم تتناثر، بل انزرعت في الأرض من جديد.

العروس

العروس الصغيرة التي ضربت يوم عرسها الدفوف وقرت الأعين ...
العروس التي لم تصدق هي نفسها ما طالها من سعادة ، والتي غبطها الجميع على ما هي فيه.
العروس التي حرصت امها على إشعال الحرمل واشعال البخور في غرفتها كل جمعة رقية من الحسد، ومجلبة للمزيد من البركة.
العروس التي أحبت زوجها الشاب وأسعدته بحملها وظلت تحلم بمولود كالبدر او مولودة كالقمر...
أنجبت طفلا بلا يد ولا ساق، كتموا عنها الخبر اسبوعين لكن الشك ساورها وبدأت بالإصرار.
حينها اجتمع الأطباء ومعهم والدها ووالد الزوج، وراح الأطباء يشرحون لها كوارث الحرب والإشعاع ومصائب الأسلحة الحديثة وما ينتج عنها من آثار على الجنين ..
كانت تصغي بحيرة، كل ذلك لا يعنيها، ما يعنيها شيء واحد هو ان ترى ابنها الذي أنجبت، إنها تريد الحقيقة..
وإذ وصلتها الحقيقة.. صرخت وراحت في غيبوبة..
حينما أفاقت دفنت رأسها في صدر أمها: تريد بيت والدها، لا تريد أن ترى او تسمع شيئا قط ..
منذ سنة والعروس المنكوبة بالإشعاع في بيت والدها تقفل عليها باب غرفتها لا ترى ولا تسمع أخبار الحروب.

زواج

هل كان عليها ان تفعل غير ذلك ...

امها ماتت مبكرا، فاعتنت بوالدها حتى وفاته، ومن يومها وهي وحيدة في الدار، حينما كانت تزور اخوتها تغادر نساؤهم البيوت خوف ان تبقى معهم، اخوتها يقولون: ماذا نفعل، الحياة صعبة والحرب جعلتنا ضعفاء في بيوتنا، فنساؤنا يتحملن كل مسؤوليات الحياة الاسرية، اعباء البيت ومعضلة الاولاد والحياة..

رجال مدينتها في الحرب، الرجال من جيلها كلهم ضحايا حرب: شهداء واسرى ومفقودون، زميلها الوحيد في الدائرة، او الذي يكاد يكون وحيدا قال لها ببساطة وهو يصحبها الى الطبيب يوما:

ايزعجك ان نتزوج..

اجابت ببساطة: وزوجتك وأولادك..؟

قال: ما شانهم بذلك، إنني لن اقصر في حقهم..

رحب اخوتها بالفكرة، فهذا الزواج على الأقل سيسكت ضمائرهم التي قلما تخزهم حينما يتذكرون اختا وحيدة، محترمة وأليفة ومتعلمة..

حينما تزوجت.. لم تعد تجد من يصحبها الى الطبيب فقد صارت الزوجة ام الاولاد تحصي الدقائق على زوجها كي لا يذهب الى الزوجة الثانية، اذ يكفيه انه معها.. طيلة الدوام.!

اشتعال

ظامئة وفي حضنها نافورة دمع
ظامئ وبين شفتيه
سراب نبع

رعد فاضل

كان يجلس على الأريكة ساهما..
حينما تربعت على الأرض وأمسكت بركيته، امسك هو برأسها، كانت تردد: احبك.
رفع رأسها إلى صدره وضمه بحنو...
دموعها تقول إنها تشتاق إليه بالرغم من بروده معها. قال بهدوئه الذي يشعلها: انا ايضا احبك، فالحب ليس عواطف مشتعلة حسب، بل هو سلوك يسعد من نحب..
تتساقط دموع في أعماق روحه، لقد علمه العذاب ان يكذب بثقة..
يتذكرها متوهجة على صدره، ومشتعلا بين ذراعيها ....
يتذكرهما يتحسسان معاً نبض الجنين في أحشائها، يبحثان عن رأسه، عن يديه وقدميه ويضحكان، يبكي أحيانا من فرط السعادة، يقول: أريد طفلة تشبهك: عينان خضراوان وبشرة وردية وسأسميها على

اسم والدتي، يرقصان حتى الصباح، يجوعان، يأكلان، يشربان، فالليل مهرجان، والليل فضاء احمر يفتح أبواب غرفتهما على الجنة..
انتهت فترة الدراسة وكان عليه أن يعود بدونها او لا يعود، وان لا يعود امر لا سبيل اليه لأسباب تتعلق بأعزاء يعنيه أمرهم..
تعذبا طويلا، بكى وبكت، وأخيرا ترك القرار لها، أكد لها انه سيدعها تقرر مصيره، وانه سيركن إلى قرارها أيا كان دون حساب الخسائر...
صمتا أياما، كان صوت الطفلة وحده الذي يبدد عذاب البيت واغترابه، لكنها لم تلبث ان حزمت أمرها وحقائبها وطفلتها ورحلت بعد ان تركت له رسالة من كلمتين: لاني احبك.
تنساب دموع المرأة على صدره، توقظه من حلم بعيد، يوم كان في الجنة والانهار تجري من تحتها..
يومها لم يكن هادئا كما هو ألان، ولم يكن يجيد الكلام عن الحب، لأنه كان يشكله، ويعيشه بفن واقتدار ..

فرسان الملكة

فتحت عينيها على جدران بيضاء صامتة، تلفتت في اركان الغرفة، لا شيء جديد..
دمعتها الصباحية الباردة تسيل لا تجففها ....
تنهض ببطء وهي تردد جملتها اليومية : ذلك يوم اخر ينقضي، وهذا يوم جديد عليها ان تعانيه ....
اشعلت لفافة التبغ وراحت تدخن، قال لها الطبيب لا تدخني قبل فطور الصباح، لكنها ضحكت عليه لان فطورها لا يزيد على فنجان قهوة ...
قال لها المهندس الذي شيد دارها: هذه نوافذ بإطارين من الألمنيوم لعزلها كليا عن الفضاء الخارجي فانت لا تحبين الضوضاء، وفعلا ظل الصمت مهيمنا على زوايا بيتها الكبير، أمام المرآة تبصر وجها يحبه الرجال: عينان قنديلان وجبهة فارعة، كلما لقيها مديرها صباحا ردد قبل ان يحييها: تبارك الله في خلقه، وتجيب: أنت اليوم أنيق، يجيبها باسما: واحدٌ من فرسان الملكة..
لكنها ملكة بلا عرش ولا تاج ولا فرسان، ملكة مزروعة في الوحشة ومنهمكة في مقارعة الأشباح، ومن يصدق..

حينما غادرت المنزل كان عطر فادح يفوح من حولها، لكنها كانت تحس بعنف عارم يدفعها الى الصراخ أو الى ارتكاب جريمة، الى عمل أي شيء من شأنه قطع حبال هذا الصمت الذي صار كابوسا يصل أرضها بالسماء، لكن بوق سيارتها ارتفع معلنا بداية نمط يتكرر كل يوم..

قال السائق: الى الدائرة..؟

قالت بتهكم: ألديك اقتراح اخر..!

ادرك الرجل انها ما تزال مأزومة

أدار مقود السيارة والتزم الصمت..

الغصن البعيد

كانت تلجا اليه كلما ضاق صدرها بالحياة..
كان يجمع الى بهاء العمر ذكاء الاناة والحكمة، وكان يعلمها ان الصمت المشفوع بمجد الفعل اكبر من كل قول، ومن يومها وهي تستمد منه مزيدا من الصبر على الحياة، وتستمد منه قبل ذلك شعورا خفيا بأمن تحتاجه ، كانت رعايته شفافة وندية كأجمل ما تكون قصائد الماء، خيطا حريريا من الامل المشدود بالجوهر يحرضها على المواصلة بالرغم من قسوة الطريق وضراوته ..
قالت له ذات مساء ربيعي: يصير الصمت معك نبض الكلام الذي لم يقل ابدا، حتى لكأن هذا الصمت هو البوح بعينه، فمتى قلت لك كل ما لم اقل، وكيف استقبل قلبك الدافئ الكبير ذلك البوح الكامن الذي ما قيل ....
ويجيبها ... نعم، هكذا ليصير الصمت في كشفه المتوهج هو الدلالة في انبثاق فيضها وصدق شجوها الحميم، وحينها يتشكل ذلك الصمت املا وقصدا وحمى، لانه يختار دروبه الفريدة عبر شغاف القلب ولذلك يصل دون وسائط ولا استئذان..
كان يستمع اليها وابتسامة متأملة تملأ وجهه ، واذ تلتقي بعينيه عيناها كانت تصمت وكان صمتها يدفعه للكلام دوما..

هل كانت تحبه..؟ سؤال يراودها بحركية مدهشة حيث يصير الحب تأسيسا للمعنى، معنى وجودها بالذات، وتناغما مع كل الدلالات التي نتفق على عظمتها صامتين..
صباح اليوم الثاني رن جرس الهاتف..
حينما رفعت السماعة كان صوته يسأل:
أكل شيء على ما يرام..؟
لم تجب..
ظل الصمت وحده سيد ذلك الفضاء المتجلي، كلاما لا تريده أن يقال، فالقول كثيرا ما يجرح هيبة النوايا ...!
عاد صوته يسال: أأنت معي..؟
أجابت بشجاعة : لا.
قال باستغراب: لماذا..؟
قالت: لان أكثر من حي ومن طريق وشارع يفصل بيني وبينك..
سأل: هل تريدين ان نكون اقرب..!
قالت: وأنت ..؟
أجاب: وثلاثون عاما ما بيننا، أنا في الستين وأنت في الثلاثين، قالت.. أهو توافق أعمار ام توافق إرادات وأرواح..؟
قال: كنت انتظر الإشارة اذن.
حينما أقفلت الهاتف كانت تتنفس الصعداء، عبء انزاح عن صدرها لقد قالت ما كان يجب ان تقول من سنين، أغمضت عينيها باسترخاء وهديل يمامة يأتيها من غصن بعيد..

بلابل ملونة

حينما فتحت عينيها وجدت الساعة تشير الى التاسعة احست ان صداع الامس ما يزال يخز جبينها فواصلت الاسترخاء، في العاشرة نهضت، دلفت الى مكتبها قرب النافذة، جلست وتاملت اوراقها ومشاريع تنتظر التنفيذ، جاءتها المراة العجوز بكوب الحليب وعلبة الدخان، تاملت الحليب واشارت للمراة ان: ارفعيه، سألتها: هل اتيك بقهوة، قالت: لا.

راحت تقلب اكداس الورق على المكتب، بحث طالبها يتحدث عن النقد النسوي وما فعله ديريدا وتفكيكه، وشبح الحرية التي يطاردها الانسان فتهرب، رمت فصل فوكو واشكالية الحقيقة ولعنت حقيقتهم وحفرياتهم، حدثها احد اساتذتها في اخر مؤتمر حضرته عن هؤلاء الذين نتصورهم فلاسفة مهمين هنا وهم مهشمون هناك، رمت فوكو بعيدا فطالعها بحث طالبتها عن شعرية المعري، هذا العبقري الذي استغرقته محنة الظلام فظل يقلبها في ادراج روحه رمت المعري بعيدا ونهضت، لن تبقى امام هذه الأوراق اليوم، انها تشعر ان عملها المتواصل على هذا المكتب دحض لحركية جسدها وسكون لروحها، ارتدت ملابس الخروج، وخلال دقائق كانت تذرع الشارع في الطريق الى الزحام..

بعد ساعة من السير على الاقدام وجدت نفسها تفتح باب منزلهم الكبير، دخلت وسط احتفاء الجميع وبهجة المفاجأة، سألها اخوها: هل افتح لك مكتبك، صرخت: لا، فانا هاربة منه..هناك. لقد جئت اليهم، قال: هاك اذن، وناداهم..

رمت عليهم انواع اللعب والحلوى، سحبت سجادة وجلست على الارض بينهم، ارتمى عليها الصغير فداهمته اخته بغيرة،جاء الاخر بمكعباته، واحضرت الوسطى اثاث بيتها الصغير، راح الصغير يشد شعرها ويعض حنكها مساعدا اسنانه اللبنية على النهوض، بكت اخته وهي تجر ثوب عمتها مطالبة اياها بترك اخيها، ترك الصبي ذو العشر سنوات قفصه المزدحم ببلابل الحب الملونة صائحا:

عمتي ستشرحين لي العلوم وتمتحنينني بالإملاء

يا الهي.. أي مهرجان وديع هذا..

قال اخوها.. اهكذا تريدين..؟

قالت.. نعم فقد كنت بحاجة الى من يبدد الصمت، ولهؤلاء وحدهم اوكلت المهة..

اذ نامت طيور الحب في القفص، تحركت بلابلها الملونة في الداخل، نهضت بحركية مفاجئة، ارتدت معطفها، واسرعت بالخروج..

تصميم

نحن نهيم في حدائق الوجوه. آه
من عالم يرى زنابق الماء على المياه
ولا يرى المحار في القرارْ
واللؤلؤ الفريد في المحارْ

بدر شاكر السياب

اذ دخلت المنزل عائدة من عملها أخبرتها الخادم انها أنجزت كل شيء، وقدمت الطعام لمصمم الستائر الذي اتى به زوجها، ثم غادرت.
دخلت السيدة صالة بيتها فطالعها رجل فارع ..
قال: كنت انتظر حضورك لاستكمل العمل، هذا هو نموذج التصميم الذي اخترته، هل يروق لك ام نختار تصميما اخر..
تأملت وجهه فأطرق، طال صمتها، تقدم منها وبيده موديل جديد:
قالت.. انا متعبة
تأملها.. نور يشع من وجهها، واسى في عينيها، شعر بالحزن، قدم لها كرسيا. لم تجلس. أمسكت رأسها، وتهاوت على الأريكة. أسرع يبحث عن ماء، عاد وبيده كأس، غسل يديها، بلل جبينها الدافئ، فتحت عينيها على رائحة رجل في عينيه حنان، وفي كفيه ألفة، منذ متى

لم تشمّ رائحة رجل مع ان رجلا ينام في غرفة نومها، يهوي على الفراش ويستسلم للكابوس قبل ان تطفئ الضياء.
أبصر نداء عينيها فأشرق غصن في قلبه، لم يبصر هذا النداء في عيني زوجته قط، مذ تزوجها وهي آلة في هيئة امرأة، يطلبها فتستسلم، يتركها فلا تأبه، يعاتبها فتصمت، وهكذا..
الآن أمامه امرأة بعبير يوحي ويبوح، امسك كفها، قبّل راحتها، زال شحوب وجنتيها واشتعل عطر غامض، كان قميصها يخفي جيداً وكتفين تشرق فيهما الشمس، أغمض عينيه وهو يحاول الهرب من شعر بني معطر بالوجد .
إذ دق جرس الباب و فُتح كانت ابنتها تنادي:
أمي ..لماذا أنت نائمة.
تلفتت.. لم تجد في الدار من احد، ووجدت نفسها على الأريكة، تغطيها ستارة لم ينجز تصميمها بعد..

العين اليمنى

حينما دقت ساعة الجدار معلنة الواحدة بعد منتصف الليل كان طالب الهندسة المعمارية يجمع أوراقه ويرتب ملف التصاميم الذي سيؤدي بمادته امتحان الغد .

قال لأخيه امتحاني في الساعة العاشرة والنصف، لا أريد النهوض قبل الثامنة.

أجاب أخوه: هذا اذا لم يوقظك تراشق الصباح بين عبوات المجاهدين ورصاص أمريكا وصواريخها.

قال: وهل تحلوا الصباحات إلا بها، علينا أن نواصل إرباكهم واندس في فراشه، وراح في نوم عميق، في الحلم كانت الأسئلة صعبة، وكانت محاولات الحل لا تؤدي إلى نتيجة، شعر بالاختناق، ضايقه الأستاذ المراقب الذي يحمل في يده عصا حديدية ويحاصر الطلبة ذهابا وأيابا، لم يجد من قبل في جامعته أستاذا يحمل عصا فما الأمر.؟

أشتد عليه عصيان الأسئلة وأشتد الكابوس، انتفض من الفراش على وقع جمرة تخترق عينه اليمنى، وجع مريع، البيت يهتز، زجاج النوافذ يتساقط، الدم يضرج وجه الفتى وصدره ، الأم تصرخ، الأب يحمل أبنه الذي فقد الوعي ويهرول نحو الخارج...

حينما دقت العاشرة والنصف صباحا كان الطالب مخدرا على منضدة العمليات وعلى رأسه تنتصب أجهزة فحص العيون والجمجمة، بينما يقف مختصو جراحة الرأس والعيون والجملة العصبية يتحاورون بأهتمام في كيفية أنقاذ فتى سيتخرج هذا العام ..

السيدة

هبت الريح، لم ننحن ..
شبت النار، جاء العدوُّ،
تبدلت الشجرة ...
مدفعا، والفواكه صارت قنابلَ،
والارض من دونها مقبرة ...

يوسف الصائغ

قال المحقق الأمريكي للمرأة الشابة: أنت تعرفينهم، المسلحون الذين زرعوا المتفجرات في طريق مدرعاتنا خرجوا من بيتك فجرا..
قالت..لا أعرفهم، لم يخرجوا من بيتي..
قال: سأقتلك قتلة شنيعة أنت والإرهابي الذي في أحشائك، وانهال عليها لكما.
انهمر الدم من فمها وانفها وصرخت: سفاحون ....
كان وجه أخيها طالب الجامعة الذي قتلوه بتهمة المقاومة يلوح لها وسط الدم النازف.
أزيز الطائرات يملأ سماء المكان والرصاص يتناثر بينما هدير الدبابات يهز من تحتها الأرض..

قال المحقق : قولي نعم، ودلينا عليهم.
التفتت شرقا وغربا فرأت ألسنة اللهب تتطاير بأشلاء أهلها، لحما بريئا ودما يعفر الأفق، نظرت إليه بعينين واثبتين وقالت ..لا ،
لن أقول : نعم.
مع الغروب كانت السيدة الفتية تحتضن جنينها بكفيها وتسقط مضرجة على الأرض..

الجنة

ليس الحب مستحيل
ولا الجمالُ خدعة، ولا ندى السحر
خرافة ...
لكن يفيض مرفص البشر بالعنف والعويلْ
محمود البريكان

رن جرس الهاتف في أعماق الليل، قرأت رقمه على الكاشف فزال توترها..
جاءها صوته كثيفا يحمل موج البحر وعطره المذبوح بالشوق..
- كيف أنت الآن ....؟
- قالت لا أعرف، ربما الصداع .
قال تستطيعين أن تعرفي ولكنك لا تمتلكين الأقدام..
هي لا تمتلك الأقدام ....! تتذكر لحظات صنع القرار وميادين العمل والمكاتب التي جلست عليها، تتذكر المجابهات وتظاهرات الشوارع والاحتجاجات..
قال لها لأول مرة : أنا متعب.
أحست بالخوف وقالت: لا أصدق..

قال: صدقي.. ما العمل..؟
قالت: بتحقيق الذات يندحر الشعور بالتعب، فالتحقق الإنساني يقاوم الضعف والانكفاء..
قال..أخشى ألا أجد الأدوات أو لا أحسن التعبير عن الهدف..
قالت..أنت؟ لا أصدق..
ضحك.... فتدحرجت صخرة خوفها وتنفست الصعداء، واصلت..أنت تكذب علي ..
اتسعت ضحكته وقال: تعرفين أني لا أكذب..
- بل تكذب علي فقط..
- ذلك ما يحول الكذب إلى فضيلة.
- ولذلك أحبك أكثر.
- أنت لا تحبين أثنين في الوجود.. أنا وأنت..
- هل يعني ذلك أنني أكذب عليك..؟
- يعني..؟
- لا أحب تهذيبك..
- لأنك لا تحبين البحر، بل يغريك الدوار..
هي لا تحب البحر ..؟
يوم سألها: هل تجيدين السباحة، لم تجب. ....
تغمض عينيها ويغمرها البحر دافئا، اخضر، ازرق ...

تغوص تحت الماء، تستلقي على ظهرها، تصارع الموج، وتحس أنها في الجنة تكللها أغصان فضية، وتنثر فوق رأسها الحوريات نوارا من زبد. ..

يا الهي.. يوم أكملت دراستها في عاصمة قطر عربي كانت تحلم بالبحر فتفيق فجرا مهووسة باللهفة، ترتدي ملابسها وتكتب لزميلتها في السكن: لا تقلقي، سأسافر إلى البحر. وبعد ساعتين تكون في الجنة مغسولة بالضوء والبرد، وتظل تستمتع بالاسترخاء أياما ...

في عاصمة أخرى كان الأمر أصعب، فالطريق إلى البحر يستغرق أكثر من ثماني ساعات ذهابا وإيابا، لكن حميمية اللقاء كانت تزدرد التعب دوما.. قطع صوته استرجاعها :

- الصداع علامة الإرهاق وانعدام الرياضة..

تضحك.....كيف له أن يعرف ..

ساعات راحتها من العمل كلها ساعات رياضة هادئة، ترقص معه على صوت فيروز وهو يمطر روحها برذاذ التمنع...

ترقص معه تحت دوي المدافع ...

ترقص معه بحزن، ترقص بفرح، ترقص بلوعات اللقاء والفراق، ترقص باحثة عن جذور الكمد وأصداء الوحشة في أعماق هذه الأسطورة الفادحة، حتى دموعها ترقص على وتر أحزان وطنها ... مذبوحا تشدُّ جرحه الأنهار وتظله أوراق شجر الجنة ...

تريد أن تنسى فلا تستطيع، يوم نهبوه وسلبوه وأحرقوه أصابها الإعياء، خرست تماما، وانبثقت في فمها مرارة مفجعة...

قال لها: سنبنيه سيدتي مرة أخرى.

قالت.. كيف ومتى ..؟؟

قال: تلك مهمتنا .

- هذا التصميم يسعدني.

- وأنا احبك.

- لذلك يزرعني الليل بنفسجة في ذروة جبل.

- بدأ الليل يموج وترتبك الأرض.

اذ شعرت بقوته أحاطت بها جبال خضراء مشرقة، شعر هو الآخر بقوتها فغادره أخر شعور بالضعف، امتدت يده إلى أوراقه المهملة، قال لها: غدا صباحا..

ابتسمت وأغمضت عينيها، لم يجفها النوم هذه المرة. إذ أفاقت في الصباح وجدت غرفة نومها مضاءة، والهاتف مفتوحا، وكل شيء يموج باطمئنان..

غروب

أوصتني أمي أن أطوّق شعر النخيل ..
كلما قرّبوا منه نار الفتيلْ

أحمد جار الله

سنة كاملة وهم يحاولون إسكات البلدة وتطويع أهلها، مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها الربع مليون، لكن المحتل عجز عن إسكات النيران فيها..

قالت الأم: ماذا تفعل يا بني؟

قال: أبحث عن مكان أخبئ فيه سلاحي..

صرخت..ويلي ، ضحك الشاب ذو الوجه المقمر وصاح: ما الأمر؟

قالت: أهذا وقت اشهار وقتال أم إخفاء سلاح ..؟

قال: سينسفون البيت يا أمي، وأنت وأطفالي..؟

صرخت..وليكن، أهذا أول بيت ينسفونه. أنظر الى تلك الحقيبة، لقد جمعت فيها كل ما يحتاجه الأطفال وأخترت المكان الذي سنتوجه اليه، دع السلاح بيدك فهم بانتظارك، واترك امر العائلة لي.

حينما كان في الطريق اليهم كان يتنفس الصعداء بعد ان أزاحت المرأة ذات السبعين عاما عن صدره كابوس الحيرة.

جاءه صوت رفاقه من بعيد يعلن البداية .....
ومع إشراقة شمس عراقية دافئة كان هناك غروب في الطرف الآخر
يهبط على ترسانة من الأسلحة السوداء.

الكابوس

ها انا ذا اقعد تحت الأقواس وحيدا
والدنيا تتصدع في عيني
وفي صدري ناي مكسور

معد الجبوري

قالت الممرضة وهي تتأمل وجه السيدة المخدرة على السرير وقد تمزقت اذنها اليسرى جراء اختراق الشظية العصب السمعي ...ماذا سأقول لها إذا أفاقت وسالت عن ابنها الذي استشهد وابنتها التي بتر ساقها في الصالة المجاورة ...؟؟

كانت تجلس بجانبه في السيارة الصغيرة التي لا تحلو الا بقيادته، طبيب وسيم تخرج قبل سنة، ووراءها تجلس ابنتها الجامعية، كان يصحبها كل اسبوع لشراء حاجات المنزل، كانت تنتظر الموعد بشغف بالرغم من خطورة الطرق ودوريات المحتل وهي تطلق النار في كل اتجاه خوفا ، انها تعوض بهما فقدان والدهما الذي أخذته الحرب وظل مفقودا لا يعلمون باي ارض ولا باي رصاصة او عطش وجوع غاب ، وعلى حين غرة توقف المارة واظلم المكان بانفجار ودخان واختلاط أصوات وارتطام أجسام، ثم غاب كل شئ ...

أفاقت الام مساء فأحست بجسدها ثقيلا، وبمرارة في فمها، فتحت عينيها فلم تبصر شيئا، كانت لفافات ثقيلة تجثم عليهما، أغمضت وحاولت ان تتذكر، لقد أفاقت من مخدر ثقيل، ومع انبثاق صور الكابوس في مخيلتها صرخت ، وغابت عن الوعي، بلا مخدر هذه المرة ...

بائعة الكراث

بائعة الكراث ذات العينين الكحيلتين ....
الصبية التي تفترش الأرض بكوفية سوداء وتعرض عليها أضاميم الكراث الطري.. أخضر كعينيها، تسألني ببراءة القرى وهي تسوي غطاء شعرها المجعد ، متى تنتهي هذه الحرب خالتي ...؟؟ وأجيبها .. حتى نهاية الكنوز يا صبية ..تنظر الي بحيرة وتكف عن تسوية غطاء شعرها، قلت لها هل تعرفين معنى الكنوز يا صغيرة ... ؟
ابتسمت بغموض من لا يعرف، وهزت رأسها ..
قلت لها الكنوز هنا، مدفونة تحت الأرض، ونابضة في رؤوس أهلها، وهم يريدون انتزاع ما تحت الأرض وإسكات رؤوس أهلها، قالت ولماذا ضربوا هذا السوق بالمتفجرات ...!! أفيه كنوز أيضا، قبل اشهر قتلت أمي هنا، قلت يكافحون الإرهاب يا ابنتي.
قالت وهل كانت امي إرهابية ...لم يكن لها من عمل غير جني الكراث من حقل القرية وبيعه في هذا السوق الصغير .
قلت لها: في البلاد المتقدمة التي لحسن حظك لا تعرفينها يفسرون معنى المفردة حسب مقاصدهم ويبدو ان امك البريئة ومن استشهد معها قد دخلوا الى معنى ما من معاني الإرهاب التي تعني اهل

الديمقراطية العتيدة وحرية الشرق الاوسط الجديد، فالدلالات تمتلك
نوعا من المراوغة التي تجعلها عرضة للاستغلال كذلك ..
لم تفقه الصبية شيئا مما قلتُ ...
نظرت إليّ بحيرة، فتركتها لكراثها ومضيت ..

السياج

تهب الريح غربية
تذرذر فوق اهداب الظماء الشوكَ،
تنثر قش بيدرنا
على أحداقنا الولهى تهب الريح ...
ذنون الأطرقجي

كانت الام قد انتهت من تحضير طعام الأسرة، وبقي عليها أن تغسل فناء بيتها الخارجي من عاصفة غبار أمس، فتحت صنبور الماء فتدفق زلالا ينهمر فيعينها على دحرجة الغبار عن بلاط الأرض، فتحت الباب الخارجي وغسلت الرصيف الممتد من باب دارها الى الشارع، حينما انتهت لم تقفل الباب فموعد أولادها قد اقترب وهي بانتظارهم كل يوم تتفقد حديقتها، وما فيها من ورد وريحان وتقتلع ما شب من أدغال فيها، حينما سمعت صوت الباب يغلق بحذر التفتت ورأته يحث الخطىً نحو باب المطبخ المفتوح، شاب نحيف لم تتبين سماته في البداية، ارتجفت أول الأمر لكن صوته جاءها خافتا ومهذبا ... خالتي لا تخافي، إنهم يلاحقونني وعليك ان تدبري لي أمر الخروج لكن ليس من الباب، حينما نظرت الى وجهه، هزتها رقته، يا الهي كان الله بعون أمه،

قالت له : تعال معي لارى، مشي وراءها وصعدا نحو الطابق الثاني وهناك سألته، أيهما أكثر أمنا ...من السطح أم من السياج على الجيران الذين أثق بهم ..؟

أجابها من الجيران . لكن ليس الان ..

قالت : نعم ليس الان، ادخل هذه الغرفة وانتظرني ..

نادت جارتها من فوق السياج وهي تحمل طبقا فيه طعام، تكلمتا بهمس، تناولت السيدة الطبق وخرجت ام البيت الى الغرفة، كان الشاب قلقا ينتظر..

قالت له ألست جائعا يا بني ..؟ ابتسم رغما عنه وقال شكرا ...

حينما وضعت على رأسه شالا وسلمته للجارة كان بابها يطرق، وكانوا يفتشون الدار غرفة غرفة وشبرا شبرا، وبسكاكين حادة يقعون على الأرائك تشريحا، وحين تسألهم عما يريدون بصرخون بها قولي أين خبأته، لقد أشعل النار بدوريتنا، لاحقناه، لا بد أنه دخل هنا ...

حينما خرجوا، كانت تشعر بزهو غريب، لقد قامت بما لم تكن تتوقع، شاركت بإرباكهم أولئك الجناة، وأنقذت شابا شهما بعمر أبنائها، ومن حينها وهي تترك الباب مفتوحا كل يوم ..

الفهرس

الجنوب	9
توابيت	12
تسعة ابواب	14
غربان	16
سرقة	18
الهلال	19
انسجام	20
لعبة الحصى	21
هواتف الليل	22
الضحية	24
تزوير	27
ضياع	29
دلال	30

النافذة	31
السكين	33
اصطدام	35
بعد منتصف الليل	37
هندسة	39
الصاروخ	40
الكهف	42
ريبة	44
سيمياء	45
الام	47
الليل	49
مدفاة	50
المبحث الاخير	51
اليوم السادس	54
التجربة	56

الفلوجة	58
الجدار الحجري	59
تداخلات	61
موعد	63
الحدود المرسومة	64
صدمة	66
اذار	67
العروس	68
زواج	69
اشتعال	70
فرسان الملكة	72
الغصن البعيد	74
بلابل ملونة	76
تصميم	78
العين اليمنى	80

السيدة	82
الجنة	84
غروب	88
الكابوس	90
بائعة الكراث	92
السياج	94